معوقات داخلية في طريق الدعوة الإسلامية

د . أحمد أبو زيد بوسجادة*

تداعت على المسلمين في عهودهم المتأخرة أحداث جسام ، وعصفت بهم ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية كالحة ، أملتها أوضاع منكودة ، تزامن فيها العجز الداخلي والكيد الخارجي ، آخذين وضع فكي كماشة ضاغطة على ما تبقى من الجسد المثخن الذي أنهكه تلاحق الحملات الصليبية ، ووحشية الصولة المغولية ، وهجمة الغزوات الاستعمارية ، وفاجعة الخلافة الإسلامية الثاوية .

لقد أوشكت الأمة أن تفنى تحت وطأة تلك الأيام النحسات ، لولا أن تداركها الله بعنايته ، إذ قيّض لها فتية آمنوا بربهم ، وزادهم الله هدى . فبعد المخاض العسير: يلد رحم المعاناة فتية الحق ، واعدين الأمة بفورة عارمة تجدد الدين وتنهض بالدنيا ، وتعيد إليها سابق عزها وسالف مجدها ، الضارب في أعماق التاريخ طولاً وعرضاً .

لقد انقدحت شرارة تلك الفورة الإصلاحية والتجديدية في كل أرجاء العالم الإسلامي ، وانطلقت صيحات روادها صارخة مدوية ، عبر الحناجر المدوية ، والأقلام المتحررة . . . ، فعلى خطى أحمد السرهندي يظهر إمام المصلحين ولي الله الدهلوي[1] ، ومحمد إقبال ، والمودودي في شبه القارة الهندية ، ويظهر في تركيا سعيد النورسي ، ومصطفى صبري ، وفي إيران محمد شريعتي ، وفي المشرق عموماً محمد رشيد رضا ، ومصطفى السباعي ، وفي العراق الألوسي ، وفي مصر الأفغاني ، وعبدالحليم

* الجامعة الأسمرية ، ليبيا .

(1) انظر سيرة وإصلاحات هذا المجدد الكبير الذي لم ينصفه التاريخ في: أبي الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ولي الله الدهولي .

محمود ، ومحمد البهي ، وفي شمال أفريقيا الطاهر بن عاشور ، وابن باديس ، ومالك بن نبي ، والثعالبي ، وعلال الفاسي . . . ، وفي نيجيريا عثمان بن فودي ، وفي منطقة غرب أفريقيا[1]: ساموري توري[2] .

لقد استطاعت هذه الصفوة الكريمة أن تجدد الدين وتنهض بالدنيا ، وتخرّج على يديها جيل استطاع أن يحمل المشعل ، رغم قسوة الظروف وعظم الخطوب ، وبذلك استطاع الأسلاف والأخلاف ، على حد سواء ، أن يبعثوا الأمة من مرقدها ، ويضعوا أقدامها المتعثرة على معالم الطريق القويم ، فكانوا بحق ممن يحملون الدعوة لا ممن تحملهم الدعوة ، إذ تم تحقيق جزء كبير من الأهداف المسطرة ، على أن يكمل النشء الجديد ما تبقى .

وعلى نهج ذلك السلف الكريم يتحرك الخلفُ وئيداً ، محققاً مكاسب ثمينة في المجال السياسي والاجتماعي والخلقي . . . ، ولكنٍ قبل أن يتم الأمر على المضمار المخطط ، وقبل أن ينجز ما قد وعَد ، ويعيد من مجد الأمة ما قد ذهب ، التقى عليه الكيد الخارجي والعجز الداخلي ، فبدأت مظاهر الاعتلال المزمن تلازم العمل الدعوي ورجاله ، وانتشرت في صفوفه أمراض معدية وأخرى منفرة ، أوهنت ــ في النهاية ــ المسعى الإسلامي ، وأصيب العمل الدعوي في المقتل ، وظهر جيل تحمله الدعوة أكثر مما يحملها هو ، فدب الخلاف والتفرق المذموم والتعصب المحموم ، وتحول ذلك إلى خصومات وعداوات ، بلغت حد التفسيق والترذيل .

وهكذا تباعدت المسافات بين الأهداف المسطرة والعاملين في المجال الدعوي .

ويعود هذا الوهن والتردي إلى جملة من الأسباب ، أسميتها: معوقات داخلية في طريق الدعوة الإسلامية ، وسأكتفي في هذا البحث بمناقشة ثلاثة معوقات:

أولها: الغلو في الخلافات الفرعية .

---

(1) وتشمل الدول الآتية: غينيا ، وسيراليون ، وليبيريا ، وساحل العاج ، وفولتا العليا(بوركينا فاسو) ، وأعلى منطقة النيجر .

(2) د . عبدالرحمن الماحي ، الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل ، ص 127 ـ 145 . وانظر عبدالله عبدالرزاق إبراهيم ، المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ، ص 39 ـ 50 .

ثانيها: تحول الوسيلة إلى غاية .

ثالثها: تضخم الأنا التنظيمي .

آملين أن تسنح الفرصة لنفصل الحديث عن المعوقات الباقية ، وتفصيل القول حول هذه المعوقات يكون على النحو الآتي:

أولاً / الغلو في الخلافات الفرعية:

إن من أهم معوقات الدعوة الإسلامية التي تهدد منجزات السابقين ، وتقوّض آمال اللاحقين ، الغلو في الدين ، واحتدام الاختلاف حول القضايا الفرعية التي لا يترتب عليها غالباً كبير ضرر من الناحية الشرعية ، وقد يكون الاختلاف حولها اختلاف تنوع فيه رحمة .

إن الكثيرين من العاملين في المجال الإسلامي لا يعرفون أن الاختلاف ضرورة شرعية اقتضتها طبيعية النصوص الشرعية وما بها من مرونة وقابلية للتأويل والحمل على أكثر من وجه وطبيعة الناس من حيث الملكات العقلية ، والقدرة على الفهم والاستنباط[1] ، والنظر بين الناس فيما للعقل فيه مجال (الظنيات وما لا نص فيه) .

ولقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم وأقرّهم الرسول ﷺ على ذلك ، واختلف التابعون ، وأئمة المذاهب[2] ، بل وقع الاختلاف حتى بين الملائكة[3] ، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[4] ، وصح في الحديث اختلاف ملائكةً الرحمة وملائكة العذاب في مصير الذي قتل مائة نفس ثم خرج تائباً .

وقد ثبت الاختلاف بين الأنبياء أيضاً ، مثل: الذي كان بين موسى وهارون عليهما السلام ، حول ما ابتدعه بنو إسرائيل في غياب نبيّهم موسى عليه السلام[5] ، واختلف داود وابنه سليمان عليهما السلام ، حول حكم الغنم إذا

(1) د . طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، ص 103 ـ 113 .
(2) المرجع السابق ، ص 117 ـ 133 .
(3) د . يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص 89 ـ 90 .
(4) سورة يوسف ، الآية: 69 .
(5) الآيات من 89 ـ 92 من سورة طه .

نفشفت في زرع القوم[1] ، واختلف موسى والخضر عليهما السلام ، حول نقاط ثلاث مشهورة[2] .

وعلى هذا النحو فهم علماؤنا ، وأئمتنا الاختلاف بين العلماء ، فكان الاختلاف تنوعاً ورحمة ، وأمضت المذاهب الفقهية أمسها في وئام وتعاضد ، وكانت على ذلك حتى ظهر ناس من الدخلاء على العلم والفقه ، لا يعرفون إلاّ رأياً واحداً ووجهة نظر واحدة ، صائبة أو خاطئة ، ثم يقولون هذا هو الدين ولا دين سواه !!! ، همهم التنقيب عن مواطن الخلاف المذموم لإحيائها وإشاعتها وضرب الطبل عليها ، والتشهير بأصحابها ، « وأعرف ناساً يحضرون المحاضرات لا للاستفادة ولا للإفادة ، يتربصون بالمحاضر ، فإذا وردت في حديثه شبهة خطا شعروا بالرضا ، ثم راحوا بعد ذلك يهرون فروته فلا هم نصحوه ولا هم تأولوا له[3] » .

لقد بدأنا نرى أعراض الوهن والاعتلال تلازم كثيراً ممن اعتبروا أنفسهم غرة في جبين الدعوة ، وغالبيتهم لا تعرف إعراب جملة من القرآن ، ثم يقولون: « هم رجال ونحن رجال!! » ، ففي الوقت الذي تتعرض فيه الأمة الإسلامية لحرب نفسية شعواء من طنجة إلى جاكرتا؛ نرى هذا الصنف المحسوب على الدعوة منشغلاً وشاغلاً غيره بما لا طائل فيه .

يحكي أحد كبار رجال الدعوة أمثلة غريبة لذهنيات لا يُدرى كيف صنعت؟ ولا من طرف من صنعت؟ ، أورد هذا الداعية في أحد كتبه أمثلة ونماذج غاية في الإزراء بالدين ، ومن بين هذه الأمثلة: أناس منشغلون بمعرفة حكم أكل لحم الدجاج الذي تناول حبوب منع الحمل!! وبجوارهم مليون ضحية من أطفال العراق يموتون موت البهائم الضالة!! ويورد الشيخ الغزالي ظواهر أخرى غريبة ، لا يمكن أن تكون بريئة أو وليدة صدفة ، يقول: « عقب محاضرة كنت ألقيها بالشمال الأفريقي ، رفع أحد الشباب يده ليسأل ما حكم الشرع في الخل؟ ، وبعد أيام وبينما كنت أحاضر في إحدى دول الخليج وإذا بشاب يسأل السؤال نفسه!! »[4] .

---

(1) الآيات من 77 ـ 78 من سورة الأنبياء .
(2) الآيات من 64 ـ 84 من سورة الكهف .
(3) د . حسان حتحوت ، بهذا ألقى الله ، ص 172 .
(4) انظر الحادثة بنوع من التفصيل في محمد الغزالي ، هموم داعية ، ص 125 ـ 126 . وانظر د . حسان حتحوت ، ص 141 ـ 142 .

والغريب أن الكاتب علّق على هذا السؤال بقوله: « وإذا كنت أسمعه الآن في غرب آسيا بعد شرق أفريقيا ، فلا بد أنه مع أسئلة أسخف سوف يصدر للهند والسند وغانا »[1] ، وهذا الذي حدث بالفعل ، فقد سئلنا هذا السؤال في دولة من غرب أفريقيا ، ولغرابته أفسد علينا جو المحاضرة المقررة!! .

ومن شمال أفريقيا وغربها وعمقها ، إلى منطقة الخليج وشرق آسيا وأوربا وأمريكا ، ينتقل هذا الصنف من الناس حاملاً معه غلوه ، ففي أمريكا مثلاً لا يجد المحاضر القادم من دولة عربية من الموضوعات المناسبة سوى « حرمة التصوير » ، وحضارة القوم هناك لا تقوم إلاّ على التصوير ، فعن طريقه وصلوا إلى القمر والمريخ ، وعن طريقه يعرفون أخبار العالم ، وعن طريقها يعرفون أحوال الطقس ، ويعالجون أمراضهم ، وبها يهتدون في ظلمات البر والبحر والجو . . . ، وهذا الصنف من الدعاة لا يرى من المثالب والمنكرات في أمريكيا إلاّ ربطة العنق!! .

يقول حسان حتحوت: بينما كنت أحاضر بأمريكا عن مؤتمر القاهرة للسكان ، مبينا خطورة اللوائح المقترحة[2] على شعوب العالم الثالث عموماً ، والعالم الإسلامي خصوصاً ، « وفيما تهيأت للانصراف بعد المحاضرة؛ هرول ورائي أحدهم وعلى وجهه دلائل الحيرة والاهتمام العظيم . . . لقد جاء يسألني لماذا ألبس رباط العنق مثل الكفار[3] ؟ .

وسأشير الآن إلى بعض النماذج التي تحدث عنها صاحب كتاب **هموم داعية** ، منها: حرمة الكولونيا ، والمنبر الذي يزيد على ثلاث درجات بدعة ، والساعة الحائطية بدعة ، ومعركة الفوقية ، ومعركة القبض والسدل ، ومعركة القنوت ، والمجاز ، ودم البعوض على القميص ، وخطر الأحناف على الإسلام[4] .

---

(1) محمد الغزالي ، هموم داعية ، ص 126 .

(2) إيجازاً لكلام يطول حول الموضوع ، نقول: إن دول الشمال تريد أن تقول لدول الجنوب توقفوا عن الإنجاب والتناسل بشتى الوسائل: العزوبة وبالواقي وبالحبوب وبالإجهاض أيضاً ، ليستأثر التنين بالأكل وحده ، إن دول الشمال لا تشكل إلاّ 20٪ من عدد سكان العالم ، ورغم ذلك فهي تسيطر على 80٪ من خيراته! ، ولا ندري السقف الذي تريد أن ترتفع إليه هذه القسمة الجائرة!! ، (الإسلام وحضارة الغد ، د . يوسف القرضاوي ، ص 108) .

(3) د . حسان حتحوت ، بهذا ألقى الله ، ص 140 .

(4) انظر هذه الموضوعات مفصلة في محمد الغزالي ، هموم داعية ، حسب ترتيبها في الصفحات:

أما عندنا في شمال أفريقيا ، فتعددت الأسئلة إلى التيمم بظهر السلحفاة ، والكتابة باليد اليسرى ، ولحم الدجاج ، وصوت المرأة وتعليمها ، ومواصلة دراستها في الجامعة ، وخروجها من البيت ، وصلاتها في المسجد ، ووظيفتها كمعلمة وأستاذة ، وطلب علوم الطبيعة والحياة ، والصعود إلى القمر ، وكروية الأرض ، وحركتها ، وتكوين الكون . . . لينتهي الأمر إلى ما تنشل له الجوارح ، وتخرس له الألسنة ، وتنخلع له القلوب ، ويستحي ذو مروءة من مجرد ذكره أو تذكره . . . ، إنها ذكريات دامعة لواقع أليم تجل الصحائف عن تصويره .

إنه الحصاد المر ، مما بذرت أيدينا وروت سواقينا ، ولم نتعهده بالرعاية الكاملة ، بل تركناه لبهائم الليل ترتع فيه أنى شاءت ، وأسلمناه للأيادي الآثمة تميل به ذات اليمين وذات الشمال ، لقد سمِعنا الآثمين وهم يستولون على الحرث والنسل قولهم: هذه قطعان ذهب رُعاتها ، ومراتع هلك أصحابها .

يقول طه جابر العلواني ، معلقاً على الأمل المنكسر والرجاء الخائب: « وإذا بكثير من الجهود تتفتت على هذه الصخرة المقيتة ، فبدأنا نرى شباباً ينتسبون إلى المذهبية ، وآخرين يدعون اللامذهبية ، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة من التفسيق والنسبة إلى البدعة والانحراف ، والعمالة والجاسوسية ، ونحو ذلك مما لا يليق بمسلم أن ينسب أخاه إليه بحال من الأحوال »[1] .

ليست المشكلة في الانتساب إلى زيد أو عمرو من الناس ، وليست المشكلة في أن يختلف الأفراد أو الجماعات فيما بينهم ، إنما المشكلة فيما يترتب على هذا الخلاف أو ذاك .

أليس عاراً أن تقوم السلطات الأمريكية بإغلاق مسجد بسبب خصام المصلين حول قراءة القنوت في صلاة الصبح!![2] ، أليس عاراً أن يدخل في الإسلام صديقان إيطاليان لتتحول صداقتهما بعد ذلك إلى عداوة ولا يكلم أحدهما الآخر ، لأن كلا منهما انظم إلى جماعة ، أليس من العار أن يمنح

---

143 ، 28 ، 16 ، 154 ، 43 ، 16 ، 155 ، 26 .

(1) د . طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، ص 151 .

(2) محمد الغزالي ، الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟ ص 203 .

المسلمون في بريطانيا أصواتهم لليهود رغم وجود مترشحين مسلمين بسبب خلافات ساذجة لا تضر دينا ولا تنفع دنيا؟ .

أهذه هي الموضوعات الأليق بالنقاش والمطارحات الفكرية في ظل العولمة ، والتكتلات الاقتصادية والسياسية والغطرسة الصهيونية؟ ، إنه لمن دواعي الحسرة والأسى حال أمة كانت تقود البشرية في أبهى عصورها الذهبية ، ثم حافت عليها الليالي فهوت على رأسها من قمة الهرم ، تتخبط في الوحل في ذيل مؤخرة الدول المتخلفة ، وأبناؤها منشغلون بالترف الثقافي ، مولعون بصغائر الأمور وسفاسفها ، ذاهلون عما تتعرض له أمتهم من محاولات استئصال ، أحياناً عن حسن نية ، وأحياناً عن سوء نية وخبث طوية ، وفي كلا الحالين هم مذنبون ومقصرون في حق دينهم وأمتهم .

إن أي امرئ يشغل المسلمين عن واجباتهم الرسالية ، إما منافق يمالئ العدو ويعينه على هزيمتنا ، وإما أحمق يمثل دور الصديق الجاهل ، ويخذل أمته من حيث لا يدري ، وكلا الشخصين ينبغي الحذر منه وتنبيه الأمة إلى شرّه[1] .

إنها النفوس إذا انطمست بصيرتها ، وتجردت من الهمم الجليلة ، قعدت عن المطامح النبيلة . . . ، وإذّاك ينشب التناطح على القشة والقذاة ، قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

حينما يرى الإنسان عاملين في الدعوة بلغوا مرحلة الشيخوخة ، وملأوا الدنيا بالكتابات في مثل هذه الموضوعات ، ولا يجد حرفاً واحداً عن الصهيونية والشيوعية والصليبية والاستعمار ، لا يملك إلاّ أن يضع يده على قلبه ويسأل الله اللطف فيما ستجري به المقادير ، « إن إثارة الخلاف بين المسلمين أو تنمية أسبابه خيانة عظمى لأهداف الإسلام ، وتعويق لمسيرة الإسلام ، وتشتيت لجهود العاملين المخلصين »[2] .

لما عدت إلى التاريخ مستقرئاً أحداثه ، باحثاً عن شبيه لهذه الأمثلة والنماذج القاصرة ، وجدت نماذج شبيهة ، وأحياناً وجدتها هي هي رغم البعد الزمني ، وخرجت في النهاية بملاحظتين هما:

(1) محمد الغزالي ، هموم داعية ، ص 44 .
(2) د . طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، ص 151 .

الأولى: اتخذ المتنطعون الجدد الخلافات الفرعية القديمة روافد لمنظومتهم الفكرية ومنهجيتهم الدعوية .

الثانية: إن انتشار مثل تلك الأفكار ظاهرة مرضية تدل على إصابة المجتمع بواحد من ثلاثة أمراض خطيرة تصيب المجتمعات ، وتتمثل الأمراض الحضارية في:

1 . بداية السقوط:

فقبيل قليل من أفول نجم الخلافة الراشدة وبداية الملك العضوض ، حدثنا التاريخ عن جماعة خرجت إلى مأرب لها ، وفي أثناء السير وقعت تمرة من نخلة ، فتلقفها أحدهم بفمه ، وقبل أن يزدردها ، صاح به صاحبه: كيف تأكلها بغير إذن صاحبها وقبل أن تدفع ثمنها . ؟ ، فألقاها من فمه وأظهر الندم وراح يستغفر الله . . . ، وبعد خطوات صادفوا عبدالله بن خباب وزوجه ، فذبحوهما ذبح الخراف وبقروا بطن الزوجة عن جنينها[1]!! ، لقد توسلت الزوجة الحامل بألطف العبارات رحمة بالجنين الذي في بطنها ، غير أن توسلاتها كانت صرخة في وادٍ!! وكانت هذه الفئة تجير المشركين وتؤمنهم على دمائهم وأموالهم وتقتل المسلمين !! .

وفي تلك الفترة ظهر المنطق المقلوب ، حينما سأل أهل العراق عبدالله بن عمر ﷺ عن دم البعوض ، فقال قولته المشهورة: « انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ »[2] .

2 . القابلية للاستعمار:

لنر نموذجين للعقليات الملتاثة التي مهدت للصليبين والتتار غزو بلاد المسلمين .

النموذج الأول: في دور الجمود والضعف بسط الحنابلة أيديهم على أصحاب الشافعي حتى لا يمكنوهم من الجهر بالقنوت ، ولما زالت شوكة الحنابلة استطال أصحاب الشافعي على الحنابلة استطالة السلاطين المستبدين ، وآذوا الفقهاء والعوام متهمين إياهم بالتجسيم !! .

إن أبا نصر الواعظ بالنظامية ، كان يذم الحنابلة ويتهمهم بالتجسيم ،

(1) خالد محمد خالد ، في رحاب علي ، ص 177 ـ 178 .
(2) ابن حجر ، فتح الباري ، ج 9 ، ص 39 .

فرموه يوماً بالحجارة ، وتقاتل الشافعية والحنابلة بسببه ، ووقع بينهم قتلى وجرحى وحرق ونهب ، إذ ذاك كان الصليبيون يرقبون الأحداث عن كثب ، ويعدون العدة للإجهاز على بيت المقدس!! .

النموذج الثاني: قبيل الإجهاز الصليبي على إنطاكية كان الصراع محتدماً بين الملكين الأخوين ، رضوان ملك حلب ، ودقّاق ملك دمشق ، بسبب أن ملك حلب طمع في دمشق ليضمها إليه ، لقد وقف الأخوان يتفرجان على حلب وهي تقاوم وحدها الغزاة الصليبيين حتى سقط الكل بما في ذلك بيت المقدس ، فاكتسح الصليبيون الحضارة الإسلامية واستباحوا ديار الإسلام[1] .

إن الانشغال بصغائر الأمور لا يدفع أبداً نزول عظائم الخطوب ، إن الجيوش الإسلامية لم تتمكن من فتح القسطنطينية إلاّ بعد أن انتشر النقاش البيزنطي ، لقد كان البيزنطيون منشغلين بقضية أيهما أسبق؟ البيضة أو الدجاجة؟ ، ولم يلبثوا حتى فاجأهم محمد الفاتح ، ودكّ عليهم أسوار القسطنطينية .

وظل حكّام مصر منشغلين بعبارة من (نابليون) الواردة في رسالته ، هل هي ممنوعة من الصرف أو لا؟ حتى باغتهم بحملته المشهورة .

3 . الانحطاط والتخلف:

ففي طورِ الانحطاط سئل فقيه شافعي عن الطعام وقعت فيه قطرة نبيذ ، فأفتى أنه يرمى إلى كلب أو حنفي ، واستفتى فقيه حنفي في زواج حنفي من شافعية ، فقال يجوز ، ولكن ليس على أنها مؤمنة ، ولكن بقياسها على الكتابية التي تجوز للمسلم باتفاق[2] .

لا أشك في أن تكون هذه النماذج والأمثلة روافد للمغالين الجدد ، ولكن من جهة أخرى لا أستبعد رائحة المكيدة من طرف قوى الاستكبار العالمي ، لينشغل الشباب عن هموم أمتهم وأوطانهم ، وليبددوا وقتهم وجهدهم فيما لا طائل من ورائه ، في الوقت الذي تمر فيه أمتنا بظروف لا تحسد عليها .

(1) د . طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، ص 147 .
(2) د . حسان حتحوت ، بهذا ألقى الله ، ص 173

ونختم الحديث عن الغلو والاختلاف بهذه العبارات المشخصة: « والصغار دائماً يهتمون بالصغائر ، فإذا رأيت من يهتم اهتماماً هائلاً بقبض اليدين في الصلاة أهو فوق السُّرة أم على الصدر؟ ويستثير ذلك أعصابه أكثر مما يستثيره قتل عشرة آلاف مسلم في تشاد[1] ، فاعلم أنك أمام مسخ من الخلْق ، لا يؤمَن على دين الله ولا دنيا الناس ، وهذا النفر من المتدينين عبء على الأرض والسماء ، والأمة التي تسلم زمامها إلى الإنسان المخبول إنما تسلمه لجزار ، وديـن الله أشرف من أن يتحدث فيه هؤلاء الحمقى »[2] .

ألاّ ما أصدق قول رسول الله ﷺ: « إيّاكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين »[3] .

ثانياً / تحول الوسيلة إلى غاية:

إن التنظيمات والتجمعات والهيئات والأحزاب المنتمية إلى الدعوة الإسلامية في حقيقة أمرها وسيلة للتمكين لدين الله على الأرض ، ونشر دعوة الحق بين الشعوب والأمم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4] ، إنها وسائل نحو تحقيق الهدف النبيل .

إن هذا الهدف ينبغي أن يتخلل كل صغيرة وكبيرة في عمل الإنسان ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[5] ، ومن هنا وجب على الإنسان أن يخلص عمله لله أولاً ، ثم يوجه الأسباب والوسائل نحو الهدف النبيل: (الله غايتنا) ، والمسلمون لا يعرفون الشعار الميكيافيلي « الغاية تبرر الوسيلة » ، بل يشترطون طهر الوسيلة ونبل الغاية ، فإذا ما فسدت الوسيلة وتدنست والتوت ، تباعدت الشقة بينها وبين الغاية .

وإن حدث أن تم الوصول إلى الغاية بالالتواء فإنها تكون مشوهة

(1) كان ذلك أيام الاحتلال الفرنسي لتشاد .
(2) محمد الغزالي ، هموم داعية ، ص 154 .
(3) سنن النسائي ، كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى رقم 3070م . سنن ابن ماجة ، كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي 3029 .
(4) سورة النحل ، الآية: 125 .
(5) سورة الأنعام ، الآية: 162 ـ 163 .

الخلقة ، يعلو الدنس معالم الحسن والبهاء فيها ، وتصير عديمة الجدوى ، إن الغاية النبيلة عند المسلمين لا تنال قطعاً إلاّ بوسيلة نبيلة ، ولذلك جعل الإخلاص مرتكز الأعمال الصالحة كلها ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾[1] ، ﴿ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾ .

إن إخلاص النية هو الآلة المحورية التي تدير الدواليب من حولها لتحرك مئات التروس والقطع الدوارة في اتجاه واحد ، لتتحرك الطيارة أو السيارة نحو الهدف ، إنها ملايين القطع تتحرك وتدور لتوصلنا إلى الدار أو المطار . . . ، ثم تتوقف . . . ، إن هذه القطع هي بمثابة وسائل ومناهج وطرق الدعوة إلى الله ، فهي ليست غاية في حد ذاتها ، بل هي وسائل لا غير .

فالانضمام إلى جماعة أو حزب ليس هو الدين ، بل هو وسيلة للوصول إلى معرفة الدين الصحيح ، غير أن هذا الفهم للأسف الشديد يكاد يكون منعدماً لدى كثير من التنظيمات الإسلامية ، إذ تحولت الجماعة والتنظيم في حس الكثيرين من العاملين في حقل الدعوة إلى دين في حد ذاته ، وتحولت مشاعرهم من الغيرة على الدين إلى الغيرة على التنظيم ، وبلغ ذلك حدود التعصب المقيت .

إن هذا التصور الضيق رغم خطورته وقصوره وتعارضه مع مقاصد الشرع ، إلاّ أنه لا يزال تصوراً وسلوكاً لكثير من الشخصيات والتنظيمات العاملة في المجال الدعوي « ينبغي التفريق بين الدين كمعتقد وغاية ، والتنظيم كحشد ووسيلة ، ذلك الخلط الحاصل بين الاثنين صار أحياناً يؤدي إلى استعمال الدين وسيلةً بُغية الحفاظ على التنظيم كغاية ، وهذا مكمن الخطر على الدين والتنظيم والمجتمع السياسي الذي يتجاذبان فيه »[2] .

إن المنتمي إلى جماعة أو تنظيم يعتقد أن هذا الانتماء هو الاعتصام المطلق بحبل الله المتين ، ورهن الضمان للعتق من النار! ، فكأنما ركب سفينة نوح عليه السلام ، وغيره كان مع ابن نوح من المُغرقين!! .

لقد أفرز لنا هذا التصور نماذج غريبة ، ترى حرمات الله تنتهك

(1) سورة الزمر ، الآية: 11 .
(2) د . عبدالله النفيسي ، أوراق في النقد الذاتي ، ص 259 .

وعرى الإسلام تنقض ومقدساته تهدم ، فلا يتحرك لها شعور ولا تنبس ببنت شفة ، ولكن بمجرد أن يشبه لهم أن شخصاً أو جهة ما انتقدت زعاماتهم أو جماعاتهم أرعدوا وأزبدوا وانتفضوا متوعدين ، لقد اهتز الرأي العام العالمي ضد وحشية الصرب في البوسنة والهرسك ، وضد غطرسة الصهاينة في فلسطين وجنوب لبنان ، ولم نقرأ في أدبيات هؤلاء حتى عبارات الشجب والاستنكار ، إنه « الأنا » المرضي التنظيمي الذي يخيّل إلى صاحبه أنه بواسطته صار ولياً حميماً أو ملكاً كريماً ، تضيق الجنة التي عرضها السماوات والأرض ، وتنكمش أطرافها حتى تصير ضيّقة لا تتسع إلاّ لجماعته وفرقته المحقة! ، إن من يقرأ كتاب « إيران . . » . يصاب بالدوار فور الانتهاء من قراءته . . . ، حيث تمكنت جماعة من المسلمين بطريقتها الخاصة في استحضار الأرواح من الاطلاع على ما في جهنم بعد الاتصال بعزرائيل وطلب الإذن منه ، فكان المشهد على النحو الآتي: صور لينين وستالين وهتلر يصطلون في درك النار ، ثم يأتي في الدرك الأسفل منه إبليس ، ثم الشخص العدو رقم واحد لتنظيمهم وجماعتهم في الدرك الأسفل من النار! ، يقول صاحب الكتاب: يوم أن مات فلان سقط حجر أسود من جهنم على قبره ، وقد كتب عليه اليوم مات مرمّل النساء وميتّم الأطفال ، وسمع كل الناس صوتاً هائلاً ! ، هل هذه هي العقلية التي تجدد الدين وتنهض بالدنيا؟ .

لهفي على المسلمين الذين ضاقت دنياهم بالخلاف فراحوا يلاحقون بعضهم بعضاً في دركات جهنم ، تاركين وراءهم جنة عرضها السماوات والأرض!! ذاهلين عن هزائم الأمة الشائتة في المجال الاقتصادي ، والعلمي ، والسياسي !!

« فكل جماعة منها ترى نفسها وحدها جماعة المسلمين لا جماعة من المسلمين ، وأن معها الحق المطلق كله ، وليس بعدها إلاّ الضلال ، وأن دخول الجنة أو النجاة من النار حكر على من اتبعها ، وأنها وحدها الفرقة الناجية ومن عداها من الهالكين »[1] ، ومن لم يقل هذا الكلام بلسان المقال قاله بلسان الحال .

إنه لشيء عُجاب أن يعتقد الإنسان أن شرف الانتماء إلى هذه

(1) د . يوسف القرضاوي ، أين الخلل ؟ ص 37 ـ 38 .

الجماعة أو تلك يغنيه عن فعل الصالحات وطلب العلم والسعي في طلب الرزق ، بل يصيّره ذلك صاحب حكمة وبصيرة ، لقد رأينا طلاباً وتلاميذ يتعالون على أساتذتهم ويستضحلون معلوماتهم بمجرد انضمامهم إلى جماعة « زيد » أو « عمرو » ، بل ويتهمونهم بالضلال وفساد الفكر ، وقد يصدر ذلك عن شخص عمر توبته لا يزيد عن شهر أو شهرين ، يقول جعفر شيخ إدريس: « إن المنتمي إلى جماعة متعصبة يشعر أنه يعيش في مأمن حين يرتكب بعض المخالفات الشرعية ما دام عضواً نشيطاً في جماعته ، وقد رأيت أناساً كثيرين في هذه الجماعات زيّن لهم الشيطان أن يستغنوا بشرف الانتماء إلى مثل هذه الجماعات عن طلب العلم والاجتهاد في العبادة ، وأن يعتقدوا مع ذلك أن كل من ليس من جماعتهم فهو دونهم مهما كان علمه وتقواه وجهاده »[1] .

لقد صار الدين وسيلة لخدمة التنظيم ، وصار غطاء لكثير من الأغراض الشخصية ، لقد أفرزت لنا الأحداث نماذج توسلت الدين للوصول إلى مآرب هابطة ، وكثير من المسؤولين في التنظيمات الدينية يحرصون على بقاء تنظيماتهم لا لخدمة الدين ، وإنما لتحقيق مصالح شخصية وميول نفسية ، وقد تبيّن أن معظم المعارك التي تنشب هنا وهناك داخل التنظيمات الدينية ظاهرها الحرص على مصلحة الدين ، وباطنها مغانم أو مناصب أو تحطيم جماعة أخرى منافسة ، « كثيراً ما يكون ظاهر الخلافات مسائل العلم والفكر ، وباطنها حب الذات واتباع الهوى الذي يعمي ويصم ويضل عن سبيل الله ، وهذا ما لمسته للأسف الشديد في كثير من ألوان الخلاف التي وقعت وما تزال تقع ، فكثير منها يرجع إلى أمور شخصية وتطلعات ذاتية ، وإن كانت تغلف بالحرص على مصلحة الإسلام ، ويظن اتباع هذا أو ذاك أنه خلاف على المبادئ والمفاهيم ، وهو خلاف على المغانم وحب الظهور أو الجاه أو التصدر »[2] .

ومن هنا لا عجب أن تنحرف العربة عن السكة ، وتبقى في حالة كمون ، ويبقى العمل الدعوي يتراوح في مكانه ، لأن أصل العمل منعدم ،

(1) د . جعفر شيخ إدريس ، التنظيمات الإسلامية المعاصرة ، نظرات ناقدة ، مجلة الوطني ، ع: 144 ، فبراير 1992م ، ص 48 .

(2) د . يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص 192 ـ 193 .

وهو الولاء لله ، لقد استبدلنا هذا الولاء بالولاء للتنظيم والحزب والطائفة ، ومن ثمة للمنصب والثروة والجاه .

يقول عبدالعزيز بن ناصر الجليل: « بدل أن يكون إخلاص العمل الدعوي إلى الله سبحانه ، فإننا رأيناه يوجه لأفراد الحزب أو الطائفة أو القوم الذين هو منهم ، فلا يحب ولا يبغض إلاّ على أساسهم ، ولا ينظر إلاّ بمنظارهم »[1] ، ثم يقول: « وواضح ما في هذا من انحراف وتخبط ، يتحمل وزره ويبوء بإثمه من تلبس به ومن ربى غيره عليه »[2] .

ثالثاً: تضخم «الأنا» التنظيمي:

من فرط الإعجاب بالنفس؛ يصاب الإنسان بقصر النظر ، إذ لا يرى من نفسه إلاّ جمال الخلق ودماثة الخُلق والكمال المتزن ، ولا يرى من الآخرين سوى المعايب الخلقية والخلقية ، بل لا يكتفي بذلك ، فيعمد إلى آلات تكبير الأجسام ويركز الرؤية على إصابة مكروه ، أو ترك مندوب ، فيظل يكبّره ويضخمه ، حتى يدخل صاحبه في مجال التفسيق والترديل والابتداع ، ليكون ذلك توطئة إلى الحكم على « زيد » أو « عمرو » من الناس بالحرمان من دخول الجنة والخلود في النار ـ والعياذ بالله ـ .

ومن هنا فلا عجب من انتشار ظاهرة التطرف التي أصبحت بحق في عالم التنظيمات موضة تستهوي أنصاف المتعلمين وأشباه المتفقهين ، وأضحت هذه الظاهرة مدعاة قلق للدعاة والعوام على حد سواء ، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: « لقد تبيّن لكل ذي عينين مدى الخطأ الجسيم والخطر العظيم الذي سقط فيه إخواننا الذين أسرفوا في التكفير حتى غدوا يكفرون الأفراد والجماعات بالجملة ، معرضين عن كل ما يخالف وجهتهم من نصوص الشرع وأدلته »[3] ، ثم يقول: « وجدنا من يشهر سيف التكفير في وجه كل من يخالفه في رأي يرى أنه الحق . . . ، كفروا طوائف كبيرة تتبعها جماهير غفيرة من الأمة . . . ، ومنهم من تطاول على كبار العلماء والدعاة ، وحكم بكفرهم ، غير خائف أن يبوء هو بذلك »[4] .

(1) عبدالعزيز بن ناصر الجليل ، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 135 .
(2) المرجع نفسه .
(3) د . يوسف القرضاوي ، ظاهرة الغلو في التفكير ، ص 56 .
(4) د . يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص 185 .

وهذا الصنف من الناس إذا بلغهم أن نعمة مسّت فرداً أو جماعة شقّ عليهم ذلك ، وإذا بلغهم اضطراب حال الناس وفوات مصالحهم وتعرضهم للمحن؛ ابتهجوا وتهللت أساريرهم[1] ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لايَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[2] .

إن الإعجاب الزائد بالنفس داء كريه ، كان سبب أول معصية في الجنة ، إذ قال إبليس عليه اللعنة: كيف يسجد من خُلق من النار للذي خلق من الطين؟ ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين ﴾[3] ، وكان من دوافع أول معصية ظهرت على وجهِ الأرض حينما قتل قابيل أخاه هابيل ، وهو الشعور نفسه الذي كان وراء إعراض كثير من الأمم عن أنبيائهم ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾[4] ، ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾[5] ، ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾[6] ، وقال المشركون عن الرسول ﷺ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾[7] ، فكانوا يقولون: « أَلَم يجد الله من يرسله سوى ابن أبي كبشة؟ »[8] ، لقد شقّ على نفوس هؤلاء أن يفوز بشرف الرسالة والوحي والقرب من الله غيرهم وهم به أحق وأجدر ـ في اعتقادهم ـ ﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً ﴾[9] .

إن الافتتان « بالأنا » و« النحن » هو الذي يميل اليوم بتلك الألسنة المقراضة على عباد الله من خارج التنظيمات الحزبية الضيقة (إن لم تكن معنا فأنت علنا) ، لم يرحموا صغيراً ولم يوقّروا كبيراً ، ولم يسلم منهم

(1) فتحي يكن ، قوارب النجاة في حياة الدعاة ، ص 18 .
(2) سورة آل عمران ، الآية: 120 .
(3) سورة الأعراف ، الآية: 12 .
(4) سورة إبراهيم ، الآية: 10 .
(5) سورة المؤمنون ، الآية: 24 .
(6) سورة المؤمنون ، الآية: 33 ـ 34 .
(7) سورة الفرقان ، الآية: 41 .
(8) يقصدون أباه من الرضاع الحارث بن أبي كبشة زوج حليمة السعدية .
(9) سورة الفرقان ، الآية: 21 .

سلف ولم ينج منهم خلف[1] ، أخرجوا رفات الموتى وجعلوا منها وجبة دسمة على موائدهم ، وجمعوا كتبهم ومآثرهم ثم صبوا عليها البنزين ، ثم أرسلوا عليها عود الثقاب مشتعلاً وانصرفوا قبل أن يفوتهم موعد قراءة الورد!! تأولوا النصوص ، وتوسطوا النيل من شرف الآخرين ، وجعلوا منه مدرجاً للصعود والترقي ، إذ لا تكاد تجد جماعة تصبح أو تمسي إلاّ وشيء من سب الآخرين أو التعريض بهم أو الكيد لهم ضمن حصاد اليوم والليلة!!

يقول بهيج ملاحويش: « كل جماعة تنال من الأخرى ، وكل حزب ينال من الثاني ، نسينا مراقبة الله فوكلنا إلى أنفسنا ، همنا سحق الآخرين جماعات وأفراداً كشرط للترقي في إثبات الذات ، كم من تعيس فينا خرج لسانه سوط منشار على إخوانه وليس على أعدائه ، خزائنه مفتوحة لفتح معسكرات الشر ومساجد الضرار للنيل من هذا المسلم أو ذاك ، أو من هذه الجماعة أو تلك ، لا يوقّرون ميتاً ولا حياً ولا صغيراً ولا كبيراً »[2] .

إنه الشعور « بالأنا » و« النحن » ، وما تقوله وتراه جماعتنا فهو عين الصواب ، وما عداه هراء وشقشقة وجعجعة ، وأحياناً يكون ابتداعاً وزندقة تجب مقاومتها ومقاومة أصحابها بشتى الوسائل المحمودة والمرذولة على السواء .

إن القلب يمتلئ أسى لحال أمة انبنى عزها وفخارها على وحدة الصف والكلمة ، والشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ . . . ﴾[3] ، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ . .﴾[4] ، ثم بدأت حالها تتغير اليوم في الاتجاه المعاكس ، إذ صار هذا النمط كأن لا هم لهم إلاّ النيل من إخوانهم من أهل القبلة ، ومن أهل لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، يصفون إخوانهم بأنهم أصحاب تصور فاسد ، ومنحرفون ، وجماعة ضالة ، أفسدت العقيدة وشوهت الشريعة .

إن هذا الكلام يذكرنا بقول أحد مشاهير علماء الأحناف ، وهو الشيخ

(1) عبدالعزيز بن ناصر الجليل ، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 128 ـ 130 .
(2) د . بهيج ملاحوش ، معوقات العمل الإسلامي المعاصر ، ص 25 .
(3) سورة الفتح ، الآية: 29 .
(4) سورة المائدة ، الآية: 54 .

أبو الحسن عبدالله الكرخي المتوفى في 430 هـ: «كل آية أو حديث يخالف ما قرره علماء مذهبنا فهو إما منسوخ أو مؤول»(1) .

لا يملك المسلم حيال هذه وتلك العقليات الخرفة سوى قول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، ويهمس في الآذان التي نسيت قول ربها: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾(2) ، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(3) ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾(4) ، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(5) .

وترجع هذه المعوقات إلى جملة من الأسباب الخارجية والداخلية:

أما الأسباب الخارجية فأهمها:

1 ـ الاستعمار الغربي: الذي استولى على المنطقة العربية والإسلامية استيلاءً استيطانياً ، سيطر فيه سيطرة مطلقة على الناحية السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية . . . فنتج عن ذلك تأخر المنطقة برمتها ، فظهر الفقر ، وفشى الجهل ، وعمّت الأمية ، إلى درجة أنه قد لا يجد الإنسان في مدينته أو قريته من لا يحسن قراءة وكتابة الرسالة !! فلما جاء الاستقلال كانت جميع العلوم يتيمة ، ومنها العلوم الشرعية ، ومن الطبيعي جداً أن يظهر على الساحة الدعوية ، أشباه المتفقهين والمتعالمين ، ومن الطبيعي جداً أن تظهر تلك المعوقات في الأوساط الدعوية ، إن فاقد الشيء لا يعطيه ، ولن يستقيم الظل والعود أعوج ، وسنحتاج إلى وقت طويل لتدارك ما فات .

2 ـ قلّة المؤسسات التي تعنى بالتأطير الشرعي: على مستوى العالم الإسلامي نجد كثيراً من دوله لا تعنى العناية اللازمة بالمؤسسات الدينية مما تسبب في ظهور متطفلين على الدعوة ، لا علاقة لهم بالعلوم الشرعية ،

(1) أبو زيد عبدالله عمر ، تأسيس رسالة الإمام أبي الحسن الكرخي ، دار ابن زيدون(ب . س) ، ص 169 ـ 170 .
(2) سورة الحديد ، الآية: 16 .
(3) سورة المائدة ، الآية: 8 .
(4) سورة النساء ، الآية: 135 .
(5) سورة المائدة ، الآية: 8 .

ومن البدهي أنه في غياب الطب الصحيح ، تظهر الشعوذة والدجل .

أما الأسباب الداخلية فهي كثيرة ، وفي عموما تتعلق بالداعية ومنها:

1ـ الأمراض النفسية كالكِبر ، والغيرة والحسد ، والعجب ، والرّياء . عدم الإخلاص: للدعوة والمبدأ ، فكثير من الدعاة لا هم لهم من الدعوة سوى أن يتوسلوها لنيل مآرب ومصالح دنيوية في عباءة الدعوة ، وهؤلاء هم الذين سماهم فتحي يكن / المتساقطين على طريق الدعوة ، وهم الذين تحملهم الدعوة ، بدل أن يحملوها هم .

2ـ يقول الشيخ الغزالي: « إننا نلحظ آسفين أن ميدان الدعوة إلى الله غص بأقوام يجعلون وجه الله آخر ما يراعي ويرغب إن كان الأمر لا يعدو أن يكون حرفة تدر ربحاً ربما قليلاً أو كثيراً ، وكأن الحرص لا يهيج إلاّ استدامة هذا الربح . . . »[1] .

3ـ الإيغال في الخلاف المذموم .

4ـ التعصب الأعمى للجماعة أو الجهة أو الحزب .

5ـ ضعف النقد الذاتي .

6ـ قلة الاهتمام بثقافة العصر .

7ـ ضعف التخطيط المرحلي والتقويم والمراجعة

أما الحلول المقترحة لتلك المعوقات وغيرها . فلا أرى أفضل ولا أحسن مما كتبه الشيخ القرضاوي ، إذا رأى أنه ليقوم الدعاة بواجبهم الرسالي على أحسن وجه؛ عليهم مراعاة النقاط الآتية:

1ـ لا بد أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات .

2ـ من النوافل إلى الفرائض .

3ـ من المختلف فيه إلى المتفق عليه .

4ـ من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب .

5ـ من طرفي الغلو والتفريط إلى الوسطية والاعتدال .

(1) د . محمد الغزالي ، مع الله ، دار نهضة مصر ، ط: 2 ، 2000 ، ص: 161 ـ 162 .

6ـ من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير .

7ـ من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد .

8ـ من الكلام والجدل إلى العطاء والتجديد .

9ـ من العاطفة والارتجال إلى العملية والتخطيط .

10ـ من التعصب على المخالفين في الرأي إلى التسامح معهم .

11ـ من الإثارة إلى التفقيه (أو من أسلوب الوعاظ) إلى أسلوب الفقهاء ، أو من حماس المنبر إلى هدوء الحلقة .

12ـ من الكم إلى الكيف . . .

13ـ من سماء الأحلام إلى أرض الواقع .

14ـ من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له .

15ـ من الانكفاء على الماضي إلى معايشة الحاضر ، والإعداد للمستقبل .

16ـ من الاستغراق في العمل السياسي إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعي .

17ـ من اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التنوع والتعاون .

18ـ من إهمال شؤون الحياة إلى التعبد بإتقانها .

19ـ من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة .

20ـ من الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس (أو من الغلو في إثبات الذات إلى نقد الذات)[1] .

(1) د . يوسف القرضاوي ، أين الخلل؟ ص 83 ـ 85 .

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم .
ـ السنة النبوية .
1ـ أدب الاختلاف في الإسلام ، د . طه جابر العلواني ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1985 .
2ـ الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ، محمد الغزالي ، دار الكتاب ، الجزائر ، 1987 .
3ـ أين الخلل ، د . يوسف القرضاوي ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، ط: 2 ، 1986 .
4ـ بهذا ألقى الله ، د . حسان حتحوت ، مؤسسة فهد المرزوق الصحفية للطباعة والنشر ، (ب . س) .
5ـ تأسيس النظر ، ويليه رسالة أبي الحسن الكرخي في الأصول ، أبو زيد عبيد الله عمر ، تحقيق مصطفى محمد القباني الدمشقي ، دار ابن زيدون ، (ب . س) .
6ـ الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل ، د . عبدالرحمن الماحي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (ب . س) .
7ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، ولي الله الدهلوي ، دار ابن كثير ، ط: 1 ، 1999 .
8ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، د . يوسف القرضاوي ، بدون دار أو سنة .
9ـ ظاهرة الغلو في التفكير ، د . يوسف القرضاوي ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسطنطينية ، الجزائر ، (ب . س) .
10ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الريان للتراث ، القاهرة: 1986 .
11ـ في رحاب علي ، خالد محمد خالد ، دار المعارف بمصر ، ط 4 ، (ب . س) .
12ـ قوارب النجاة في حياة الدعاة ، فتحي يكن ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، (ب . س) .
13ـ مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، عمر عبيد حسنة ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، (ب . س) .
14ـ المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ، عبدالله عبدالرزاق إبراهيم ، المطابع السياسية ، الكويت ، (ب . س) .
15ـ مشكلات الدعوة والداعية ، فتحي يكن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1988 .
16ـ مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط 1 ، 1989 .
17ـ معوقات العمل الإسلامي المعاصر ، د . بهيج ملاحوش ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط 3 ، 1993م .
18ـ نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر عبيد حسنة ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1985 .
19ـ هموم داعية ، محمد الغزالي ، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (ب . س) .
20ـ وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، عبدالعزيز بن ناصر الجليل ، دار طيبة ، ج: 1 ، ط: 2 ، 1998 .
21ـ مجلة الحرس: ع: 144 ، فيفري 1992م .